التعاليم الإسلامية تواجه تحديات الثقافة الغربية

الحلقة الثانية الأخيرة

الأستاذ / نجم الحق الندوي

إن كثيراً من الأعداء للمسلمين ولا سيما اليهود يسيطرون كليا على الإعلام العالمي ، غايتهم الأساسية هي إضعاف المسلمين خلقيا وإخراج هيبة الإسلام من القلوب وإضاعة الشباب المسلم في متاهات الغفلة لا يهتم دين ولا فلسفة إنما هم أعداء مسافرون للإسلام ، وهم يستخدمون جميع الوسائل الهدامة الممكنة ويقدمون كل ما يغري أهواء النفس بكل حرية وبصورة لا يتوقى منها الجيل الناهض وقد مرسلو كيانه - نشاهد - اليوم نماذج ذلك في جميع البلدان الإسلامية ويؤخذ الشباب بذلك ، ويحولون إلى جيل من العجزة والمرض نيل الأوان ويصابون بالأمراض الجسيمة من جراء الأدواء الخلقية ، وذلك كالإيدز (*AIDS*) والسرطان الدموي (*CANCER*) وضغط الدم (*BLOOD PRESSUR*) والسكر (*DIABETES*) والسل (*TUBERCULOSIS*) وما إلى ذلك من الأمراض الجسمية المهلكة .

ثم يبدو مصيره بشكل نهاية أليمة للأسرة ، أما الأجيال القادمة فهي تواجه خسارة أكبر من هذا ، فإنها لا تكون مريضة وهزيلة من الناحية الجسمانية فحسب بل يتعطل قواها العقلية والفكرية ، وتعاني من ضعف وهزال كبير ، وهكذا يتجه المجتمع البشري نحو التدحور ، ويحرم دوره المعلوم ويغيب هدف الحياة الأصيل عن الأنظار، ويتولد كل نوع من الفوضى ويمثل الإنسان دور البهائم تدريجيا دون أن يتمتع بقوة التمييز بين الخير والشر.

وإن فقد الإنسان قوة التمييز بين الخير والشر فلا يميزه عن البهائم إلا الهيئة والشكل ، وما كان الناس في عصر الحجارة ينحتون القصور والبيوت في الجبال وإلا وهم لا يعرفون مسؤولة إنسانية أخرى ، ولا يستهدفون غاية للحياة ولا يرتبطون بالمهاهيم العالية التي تصغى على الإنسان لباسا من الإيمان والورع والطهور والعفاف والجود والكرم ، وذلك الحط الفاصل بين إنسان وغيره من الكائنات ، ومن هناك ترتفع مكانة الإنسان وقيمته ويصل إلى قمة العزة والسعادة ويكون إتصاله بربه الأعلى الكريم مخلصا قويا لا يتطرف إليه شيء من العوامل الإنسانية والأغراض والأهواء .

وتحمل الإسلام مسؤولية بناء مثل هذا الإنسان ، وأسدى إلى العالم كله منة عظيمة بأداء هذه المسؤولية ، ثم إرتفعت منزلة الإنسان إرتفاعا جعله يمثل العزة والعظمة بأزاء المخلوقات بل بأزاء الملائكة رغم مخالفتهم ، ومع تحمله مسؤولية وصل الأرض بالسماء وربط الإنسان بالإنسان ، وتوثيق علاقات الناس جميعا مع الله جل وعلا وجعل نفسه جديرا بحمل راية الإيمان واليقين في معنى الكلمة وأثبت أفضليته بذلك .

نال الإنسان بالسير في ضوء الإيمان عظمة لا تكاد توجد في أي نعمة من نعم الله مهما كانت كبيرة ، وهذه العظمة نتيجة للتقوى ذاك أن يرتبط الإنسان بربه الجليل ويتفاني في حبه ويعزم بدافع طاعته ويصبح مجاهدا بنفسه وماله في سبيل الله ، ومهما كانت الأوضاع سيئة لا يتنازل عن خصائصه الإيمانية في أي حال بل يصون تشخصه الإسلامي .

ومن سعادة المسلم الكبرى أن يعتز بإسلامه ويحمد الله عز وجل على أنه من عليه فأكرمه بنعمة الإسلام ، ولذلك فإن التظاهر بالإسلام في كل مناسبة والإلتزام بخصائصه مسؤولية كبرى للمسلم ، ومهما كانت الأوضاع حسنة أو سيئة فإن إبداء الميزة الإسلامية وإعلانها دون مبالاة بالعواقب حاجة أكيدة ، لا يمكن المسلم أن يصرف عنها النظر، وهو لا يسمح أحد في أي حال بالرضا عن ذلك ، لما تظاهر المسلمون بالإستقامة في شؤون الحياة كلها إستقبلهم النجاح ورافقهم النصر الإلهي على وجه دائم ما تزلزلت أقدامهم حتى في أصعب حال وحتى في ميدان الحرب ، كانوا غالبين على قلة وسائلهم ، وهزموا الأعداء ، ومن أجلهم حانت الفرصة للشعائر الإسلامية كي تزدهر وترتفع ، إنهم حملوا راية الحياة الإسلامية ، وأقاموا منارة نور في المجتماعات الإنسانية ، ونوروا الطرق المظلمة وعلموا السير فيها ورفعوا مكانة الإنسان لكي يبذلوا مؤهلاتهم لإعلاء كلمة الله ويحسنون أداء مسؤوليات الحياة كلها ، ويواجهون أي صعوبة في سبيل تقديم الحلول للمشكلات التي نشأت في الدنيا نتيجة للإنحراف والضلالة ، وما لم يحدث شعور بهذه الجنوانب المهمة ، لا نستطيع أن نعبر أنفسنا عنصرا مفيدا للمجتمع ، ولا نستطيع أن نمثل دورا فعالا في تكوين مجتمع نزيه ، ولذلك تعود علينا المسؤولية في إزالة جميع الحواجز التي تتحول دون إعتراف الناس بوجودنا .

تبذل الآن محاولات جادة قوية من قبل القوى المعادية للإسلام للقضاء على وجود المسلمين المتميز، وإذا لم يمكن أن تقطع صلتهم عن الدين والعقيدة ، فأمكن أضعافها ، وأن يحولون إلى أمة جرينة منطلقة الفكر والأهواء كعامة الرجال الماديين ، تركز مجهودات كبيرة في هذا المجال ، فبينما يقتل المسلمون في مكان بكل قوة ويؤخذون بضغوط سياسية وإقتصادية في مكان آخر حتى اضطروا إلى الخضوع أمام الباطل والقوى المعادية للإسلام ، ويعترفوا بهزيمتهم كما أن مقدساتهم يستهان في بلد آخر ، ويجرح عواطفهم الإيمانية في موضع آخر .

وهم يبذلون محاولات لإيجاد ديانة جديدة بإزاء الإسلام عسى أن تكون مناهضة للإسلام ، إن هذه الديانة الجديدة تنطوي على مطالبات غير صالحة للعمل مضادة لفطرة الإنسان ليس فيها استقرار، بل ضارة للغاية دعائمها الأساسية لخدمة الشهوات

البقية على ص - ٦

أخرجها البخاري يقول عطاء بن يسار : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلي الله عليه وسلم في التوراة قال أجل : والله أنه لموصوف في التورات ببعض صفته في القرآن : ﴿ يا ايها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴾ سورة الأحزاب : ٤٥

فلا يحل الربيع بنفحاته الطيبة وأزهاره المفتوحة وطيوره المتغردة ونغماته المترنمة إلا بذلك النور الذي أرسله بالحق بشيرا ونذير وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وبهذا النور الذي أضاء منه الكون وأنار به الطرق يقول القائل :

لم لا يضيء بك الوجود وليله
فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق
وببدر وجهك كل ليل مقمر

وبهذه المناسبة قال قائل :

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء

ويقول شاعر الرسول صلي الله عليه وسلم حسان بن ثابت رضي الله عنه بلسانه البليغ بشأن الرسول صلي الله عليه وسلم :

وأجمل منك لم تر قط عيني
وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب
كأنك خلقت كما تشاء

فإن الحياة البشرية لا تستطيع أن تتشرف بذلك النور المحمدي وبربيع الزمان وشهر الرحمة هذا إلا إذا سجلت إسمها في قائمة الأمة المحمدية وتفتخر بالشريعة الإسلامية وتستسلم لها طوعا ولا كرها ، حبا وكرامة لا جبرا ولا قهرا، لأن سفينتها لا تصل إلى شاطيء النجاة قط إلا بتجديفها حيث أن جميع ما تتمتع به الإنسانية في هذه الحياة الدنيا إنما هي بركة من بركات هذا الربيع ورحمة من رحمات النبي الأمي صلي الله عليه وسلم كما أعلن الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز حيث قال ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (سورة الأنبياء : ١٠٧) وإن التحديات والصعوبات التي تعاني منها الإنسانية عامة والأمة المحمدية خاصة من مشارق الأرض ومغاربها وجميع المصائب والشدائد التي ننن منها نحن المسلمون اليوم شرقا وغربا تحت وطنتها إنما هي بسبب ابتعاد العالم عن هذا الربيع ولأجل تنازل الأمة المحمدية عن الشريعة الغراء ولا تنطبق عليها هذه الآية القرآنية ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ سورة النساء : ٦٥

فكما نقل القرآن الكريم دعوة النبي العربي الأمين لإنقاذ سفينة الحياة البشرية من الغرق في البحر العميق ﴿ إن هذا صراطي مستقيما فالتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾(سورة الأنعام : ١٥٤)

وعن هذه الأسرة المحمدية التي فتحت أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وتركت الأمة الإسلامية على المحجبة البيضاء ليلها كنهارها حتى لم تترك مجالا لقائل أنه لا يجد في هذه الحياة المحمدية نموذجا ولا أسوة حسنة وقد بقيت عليه أمور خافية لم تظهر بعد ولذلك أعلن القرآن الكريم مجلجلا ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ (سورة الأحزاب : ٢١) ففيه أسوة حسنة ونماذج رائعة للإنسانية جمعاء ، ولها فيه أسوة صلحى ، وأسوة حربا ، وأسوة في نشر جناح الأمن والسلام وتمطيط ظلام الأخوة بين الناس كآفة ، ولأجل ذلك رفع الله تبارك وتعالى ذكره كما قال بلسانه الأبد ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ (سورة ألم نشرح : ٤)

وإن العالم والإنسانية اليوم لفي أشد الحاجة إلى هذه الأسوة النبوية ولإختيارها لإنقاذ سفينة الحياة الإنسانية حيث يعلمها هذا الربيع مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال وإعطاء كل ذي حق حقه ، ويذكر المسلمين اليوم بأن يعيدوا ثقتهم بالسيرة المصطفوية العطرة ويطالعوها من جديد حتى يكون الربيع ربيعا ، فلو لا هذا الربيع ولو لا هذا السراج ولو لا هذا النبي العربي الأمين لما انفجرت ينابيع الحكمة الربانية والهداية البشرية ، و ولو لا النبي العربي لما هبت رياح العقيدة والإيمان ولما انقشعت سحب الجهالة والضلالة ، فلا قيمة للربيع إلا بالنبي العربي ، ولا عيد في الربيع إلا بإتباع النبي الأمي الأمين عليه أفضل الصلاة والتسليم .

بقية المنشور على ص - ٧

والفوضى الخلقية وعبادة المصالح والأنانية ، لا دخل فيها لخدمة الإنسانية ودوافع النصح وعبادة الله وحده ، إنما تدور حول تعليمات شيطانية وأفكار باطلة وتبنى على الهدم لا على التعمير.

ومن أتباع هذه الديانة جميع أولئك الذين يجهلون حقيقة الحياة وغايتها ، وهم يظنون أن الحرية تعنى إطلاق زمام النفس متحررا وأن يتيحوا لها فرصة سانحة لإشباع شهواتهم ويحرروا أنفسهم عن كل نوع من المسؤوليات الخلقية ، وقد كانت هذه الطريقة سائدة في المرتبطين بالملل القديمة ، وهم وإن كانوا يتصورون الخير و الشر جانبين متضادين للحياة ، ولكنهم ما كانوا يقدرون على تمييز الخير من الشر ، وطالما كانت يتغيب المفهوم العملي للخير والشر عن أعينهم هذا : وهناك سبب آخر كبير يحمل الأهمية الأساسية و هو أنهم كانوا يعتبرون الدين مجموعة من طقوس وعادات ولم تكن في قلوبهم قيمة للدين سوى أن يتزأوا بزى الدين ، كلما مست الحاجة إلى ذلك ، وأن يقوموا بأداء صور للعبادات ، إن هذا التصور ما كان منشوه إلا العيش في بيئة دينية محدودة، وما كان مصدر هذا الوضع إلا ذلك المفهوم الذي وجد من العلاقات التقليدية التي قامت بعين الدين والأخلاق ، فلم يتحقق لهم العز والسعادة ، لأنهم نظروا إلى المجتمع البشري من خلال منظار المحدودة ، وإن التقصيرات التي صدرت في عرض التصور الصحيح الكامل للدين ، أنتجت طبقة للجماهير لم تطلع على أمور الدين الأساسية ، إن أفراد هذه الطبقة لما كانوا يجدون الدين في زيارة ضرائح الأولياء وعادات الرقى والشعوذة ، فلم يكونوا عانشين في غفلة عن عقائد الدين من التوحيد والرسالة والجنة والنار والقيامة والآخرة فحسب بل كانوا يجهلون تماما إن هذه الحقيقة تتمثل أمام العاملين في حفل الدعوة الإسلامية كعلامة إستفهام ؟؟.